عرض كتاب

تأريخ المستقبل خطوة الى الوراء خطوتان الى الامام –ط1– 2024

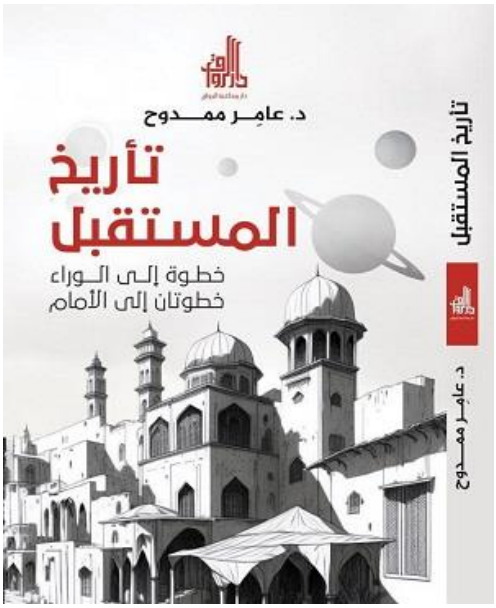

المؤلف/ الدكتور عامر ممدوح

اسم ومكان الناشر / دار ومكتبة الرواق – مركز الرواق– بغداد / للسياسة العامة

تأريخ النشر / 2024 عدد الصفحات 200 صفحة

عرض وتقديم : أ.د شيماء عادل فاضل*

تم اختيار عرض هذا الكتاب لعدة أسباب أهمها انه يأخذنا في جولة قصيرة ووافية حول التمازج الفكري والميداني بين ميداني التأريخ والمستقبل والذين كلهما مهمين في تخصص العلوم السياسية ،فضلا عن طرحة أفكارا ومفردات جديدة لمؤرخ مهتم له ريشة مغموسة بهموم امتنا العربية حامل معها الوعي المتحقق من الانتماء لها ،فالمناهج والاهداف والوسائل كلها تدور في هذا الاطار من دون الانغلاق على التأريخ العالمي الذي له أيضا من المنفعة والفائدة ،وتوظيفه بشكل متوازن بين الحاجة العلمية العامة والواقع العربي والتي تحملها امة (اقرأ) بين غيرها من الأمم ، وعليه اشتملت أفكار الكاتب على فصلين وسوف نستعرض اهم الأفكار في كل فصل وما يتضمنه من مباحث ،اذ حمل عنوان الفصل الأول (استدعاء التاريخ) والذي جاء مقسم الى مبحثين ،يطرح الكاتب في مبحثه الأول (التاريخ بين الماضوية والمعاصرة) عدد من التساؤلات ويحاول الإجابة عليها كما ورد في التساؤلات ،لماذا التاريخ ؟ وهل انتهى التأريخ ؟هل يمكن الوقوع في فخ الماضوية ؟وهل توقفت عجلة التقدم والسير نحو الحاضر والمستقبل؟ وهل سنواتنا الحاضرة والقادمة رهن لقرن مضت وانتهت واقعا ؟ والجواب لهذه التساؤلات كان وبحزم (ابدا" وكلا).

* كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين Shaimaa.adil@nahrainuniv.edu.iq

واستكمل انه رغم الفوائد الجمة للعودة الى التاريخ من بينها انها تضيف للقارئ تجربة تاريخية من امتداد الماضي وهو يتوق اليه وقد عبر عن هذه الفائدة ،بقول الشاعر (من وعى التاريخ في صيده أضاف اعمارا الى عمره) وانطلق الكاتب في سرده لفوائد الاطلاع ودراسة التاريخ ان اغلب الدراسات الحديثة اليوم قد تخطت المفهوم التقليدي للتاريخ فلم يعد التاريخ اليوم ما كان عليه بالأمس ،أي لم يعد ذلك العلم الذي يهتم بالماضي فقط ، بل اصبح علما يهتم بالإنسان واحواله المتبدلة باستمرار على مر العصور ، فهو ملم لا نهاية له وهو مستمر باستمرار الانسان ووجوده ،فهناك دائما وابدا حركات ذهاب واياب داخل التاريخ بين الخاص والعام بين الماضي والحاضر .

وعليه ، فالمطلوب من التاريخ كما يرى الكاتب ان يساعدنا على فهم اليات التطور والتبدل المستمر للإنسان او ما اصطلح تسميته بالتاريخ الاني وهو ما يولي الاتجاه الحديث للدراسات التاريخية عناية خاصة أي (تاريخ الزمن الحاضر) الذي له مميزاته وطرق مقارباته .

اذن تاريخ الزمن الماضي ما هو الا تحويل الرؤى الى مستقبلات محققة علينا ان نبدأ برؤية وان نخطط للخلف وصولا الى الحاضر فهي عودة اصيلة الى الوراء من اصل التقدم بثقة واطمئنان الى الامام .

اما يحاول الكاتب بالإجابة في فصله الأول عن لماذا اختياره للتاريخ ؟ بأكثر دقة واتساعا وشمولية بشمولية التاريخ ذاته كون احداث الماضي تفرض نفسها علينا بشكل جديد كون الماضي يرتد الينا وكأن التاريخ بأكمله يلاحقنا وعادة ما تكون الملاحقة إيجابية وليست حالة رجوع قسري الى الوراء ،وهذا ما نسميه بوثبة الزمن .

وقد جرت العادة ان يعمل المؤرخ وهو يكتب عن التاريخ على الإجابة عن خمسة تساؤلات وهي (ماذا ؟ متى ؟ من ؟ كيف؟ ولماذا ؟) وهي الأسئلة الخمسة الأولى في البحث والسرد والتدوين والتي تحقق شروط اعتماد الرواية فيما يفتتح الكاتب سؤالا سادسا في مبحثه الأول والذي جاء تحت عنوان (الطريق نحو المستقبل) باحثا عن اولياته وسبيله في بيان مسارات المستقبل ،وحينما يتمكن المؤرخ من الحصول على إجابات التساؤلات انفة الذكر (الستة) سيمنح الدارس سؤالا سابعا مداره ماذا نفعل ؟ وهو سؤال مستقبلي مرتكز على سابقاته التاريخية ، فإلى جانب السؤال :لماذا ؟ يسأل أيضا السؤال الى اين ؟ ويختتم الكاتب مبحثه بالقول ان المستقبل يجب ان لا يقيده طوق التاريخ بل تكون سلاسله الممتدة عبر الزمان الطويل والبعيد مرنة متوافقة مع عصرنا وينبغي من دون شك الا تدفعنا انهزامية البعض والتي لا تنكر اليوم الى موقف متطرف من الماضي بين انهزام حاد وانكار اشد .

اما المبحث الثاني من الفصل والذي جاء تحت عنوان (استشراف الماضي من اجل المستقبل) يوضح فيها الكاتب نقاط التقاء والتمايز التي تجمع في العلاقة ما بين الماضي والحاضر والمستقبل وعلى أسس عدة واساسية وأول نقاط الالتقاء هو الزمن كونه يمثل اهم المسلمات والمبادئ الأساسية للدراسات المستقبلة والتي تنطلق منها وتشكل عن طريقها نظريات هذه الدراسات والتي يمكن بفهمها معرفة مدى منطقية هذه الدراسات ومعقوليتها وبين الزمن والفطرة والرغبة في تحسين المستقبل غير الملموس يجتمع ويلتقي الماضي والمستقبل مرورا بالحاضر في حركة دائرية ،وضعت بالحركة البندولية اللولبية والتي لها اثرها في تصور المسلم لمسار التاريخ وحركة الواقع وما تفرضه هذه الحركة من اختلاف في الاحداث والعوائد وما يجب عليها حينها .

اما نقاط التمايز فكانت في الأدوات ووسائلها ومناهجها ،اذ يهتم الماضي بأدوات القياس والمقارنة والتحليل ، اما المستقبل فيهتم بالافتراض والمقارنة والقياس والتخمين ،اما من حيث وسائله فالماضي تتصف كونها اقرب للمنطقية والتحليل والمقارنة ، بينما المستقبل فابرز وسائله المستخدمة اقرب الى الرياضيات والحسابات والتخمين والتوقع .

اما من حيث المناهج فالمناهج المعتمدة عند الماضي تكمن في التحليلي ، التفسيري ، التأويلي ،المقارن، الاستقرائي ، اما مناهج المستقبل فتكمن في التنبؤي والحدسي والافتراضي والاستقرائي ...الخ

وختم الكاتب فصله بالقول ان الغاية من معرفه التاريخ هو الاعتبار أي تمثل قيمة معرفية كبرى توصلنا الى نتيجة اكثر واعظم فائدة وهي (الاستبصار) وهو نتاج إيجابي يمتد تأثيره ويتجاوز الحاضر ليحقق لنا الإمساك بخيوط المستقبل الممتدة من احدى أطرافها بعيدا في أعماق التاريخ كما ترغب وتطمح .

اما الفصل الثاني والذي جاء تحت عنوان (استرداد المستقبل) استهل الكاتب حديثه عن القران الكريم وكيف جد نفسه امام هذا المنهج المتكامل في تعامله للتاريخ وكونه كتاب هداية وليس كتاب تاريخ ،فالإشارات تأتي تباعا واللمحات تتكرر والقصص الانموذج تعاد بأكثر من صيغة لتصل الرسالة والمغزى منها .

كما وصف القران الكريم بخارطة الطريق لتحريك التاريخ ،ونزع صفة الجمود عنه لصالح صفة الفاعلية ومن دون شك ،كما يغدو التاريخ في القران الكريم وحدة زمنية تتهاوى الجدران فيه بين الماضي والحاضر والمستقبل وتتعانق ازمان الثلاثة عناقا مصيريا وتلتقي عند النقطة الحاضرة في عرض القران ،مما يوضح

حرص القران على إزالة الحدود والانتقال السريع بين الازمان ابتداءا بيوم الخلق وانتهاءا بيوم الحساب ،وركز الكاتب في مبحثه الأول على كون العرب امة الماضي لكن يبقى شعارنا المستقبل كي نكون على وعي بالتاريخ من خلال الأدوات التي يمنحها التاريخ لدارس المستقبل والتي اختصرها الكاتب بـ (المعرفة ، والتجربة والخبرة، تجنب الأخطاء ، الاستبصار)

اما المبحث الثاني من الكتاب فقد سلط الضوء على السبق التراثي واستشراف المستقبل من خلال تأكيداته على السنة النبوية المطهرة واهميتها لاستشراف المستقبل من خلال استعراضه للعديد من الاحداث وبيان نظره الرسول المستقبلية واثر ذلك في تطور الدولة الإسلامية.

وبما ان التاريخ يمنح الحزم والعزم والموعظة والهمة وكل مفردة من هذه انما لها بمنحنيات الزمان ارتباط ودلالة واستدعاء واستجابة ، فالحزم والعزم مطلوبان في وقت الشدائد والموعظة لازمة، لإبقاء السير على المنهاج والهمة ضرورة للاستمرار ،وقد طرح الكاتب عدد لابأس به من مقدمات الكتب التاريخية كمجموعة من الإشارات المستقبلية في التراث العربي الإسلامي ،واختتم الكاتب الفصل بطرحه أفكار ومفردات جديدة (الشاهد التاريخي ، الحضور المستقبلي ، الأسس والمنطلقات ،الطرق والوسائل والاليات ، الهدف النهائي) تضاف الى ميدان الدراسات التاريخية الاكاديمية ،ويمكن ان ينظر لها على انها وسيلة لرسم ملامح المستقبل القادم ،والذي مازال مجهولا ،كما جمع الكتاب بين (الماضي) ميدان الاعتبار و(المستقبل) ميدان الفعل الذي ما يزال ،واطلق مدرسة (تأريخ المستقبل) تنظم لمدارس التاريخي الأساسية ولها سماتها واسسها وادواتها ووسائلها لبلوغ غايتها ،وما نحتاجه اليوم المزيد من التنظيم والترتيب والتبويب في اطار علمي واكاديمي متفق عليه .